مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٨/١/١١

فرصة العمر يا مستر بيجين

بقلم : يوســف الســباعى

يبدو لي أن المستر بيجين قد قرر ان يضيع فرصة العمر . عمره .. وعمر اسرائيل.. بعد ان كان الطريق الى السلام والامان واضحا امام عينيه .. منـذ ان اضاءته شـعلة المبادرة المذهلة التى اقدم عليها السادات .. وبدلا من أن يتجه مباشرة الى هدف السلام العادل الذى اوضحة ضوء المبادرة .. بعد طول ضلال فى غياهب انعدام الثقة ومتاهات الشـــك .

بدلا من ان يتجه الى السلام العادل الجقيقى .. اذا به يقفز ويتوثب فى موضعه .. دائرا فى حلقـة مفرغة من المشروعات والمقترحـات التى لا توحى بأن الرجل قد رأى طريق السلام الحقيقى الذى اضـاءته مبادرة السـادات .. وانه ينوى ان يخطو اليه .

واذا كنا قد سلمنا .. بأن من حق اسرائيل أن تعيش فى أمان .. وان تتعامل مع جيرانها تعاملا انسانيا .. وان تحقق ما سمته سلاما طبيعيا .. بكل ما يحمله من صفات التعامل الطبيعى .. بين الجيران . فان ما يفعله المستر بيجين الان .. لا يمكن أن يحقق له اى درجة من درجات السلام .. لا طبيعى ولا غير طبيعى .

فبالمنطق العـــام ــ ورغم ان المستر بيجين يصعب عليه فهمه ــ ليس من الطبيعى ان تحقق الدول امنها باقتطـــاع قطع من اراضى دول مجاورة لمجرد ان هذا يهيىء لها امنا افضل .. فالمفروض ان تهيىء الدول لنفســـها من وســـائل الدفاع ما يحقق لها امن حدودها .. وليس المفروض أن تختار لنفسها من الحدود ــ بالعدوان على الجار ــ ما يحقق لها الدفاع عن نفسها .

وبالاضافة الى ما هو معروف ــ مما لا يريـــد ان يفهمه المستر بيجين ــ من أن وسائل الحرب الحديثة .. قد غيرت كل مفاهيم الدفاع المقترنة بالارض .

والشعب الاسرائيلى الذى رايناه فى استقبال السادات .. وابصرنا فى عينيه الدمعة وعلى وجهه الفرحة .. لاحساسه ان السلام يدنو مع خطوات السادات الى أرضه . يجب أن يعرف طريق السلام الحقيقى .. الذى يبدو ان المستر بيجين .. يجهله او يتجاهله .

الشـــعب الاسرائيلى الـــذى أمضى ثلاثين فـــاما تحت السيف .. بسلاحه معلق فى عنقه .. والذى خدعوه باحلام الامبراطورية .. وباليد الطويلة وبالحدود المفتوحة لـــكل خطوة يخطوها الجندى الاسرائيلى .

الشعب الاسرائيلى الذى عاش تحت السلاح دائما امنه .. ثمنا لاحلام الغزاة .. يريد أن يقبع فى بيت آمن ... ويعيش كما يعيش البشر المسالمون .. وان يتعامل مع جيرانه فى اخوة وصداقة ..

هل تخطو به يا مستر بيجين الى هذا الطريق

هـــل يحتم عليك امن الشـــعب الاسرائيلى دفعـــه فى مستعمرات .. اشبه بالاشواك داخل جسد الجار .

لمـــاذا ؟ ..

هل تؤمن بهذه المستعمرات الحدود التى لم يؤمنها خط بارليف بكل ما فيه من معدات الدفاع .

هل تمنح المستعمرات التى تعيش فى بحر من المقاومة والكراهية .. اصحابها المزيد من الامن ..

اذا كان الشعب الاسرائيلى لا يشعر بالامن وهو فى داخل اسرائيل .. هل يشعر بالامن وهو فى داخل الجسم العربى.

واذا كانت المستعمرات لا تشكل دفاعا عن اسرائيل .. ولا أمانا لسكانها .. فما سر هذا التمسك الغريب بها .. اللهم الا اذا كانت تشكل أرضا للتوسع .. وهو ما يعتبر مرفوضا رفضا باتا .

لقد قال السادات معبرا عن كل عربى .. امن اسرائيل اجل .. توسعها لا .

يجب أن يفهم الشعب الاسرائيلى جيدا .. ان للتوسع ثمنا من امنه .. وان اية قطعة ارض يقتطعها .. ستقتطع من امنه .. على مدى الدهر . ان مبادرة السادات يجب ان توضع فى حجمها الحقيقى .. ويجب على مستر بيجين ان يرتفع الى مستواها .

لقد كانت اسرائيل تضع طبيعة السلام .. كهدفها الكبير الذى تريد ان تصل اليه .. ولم يكن احد يستطيع ان يتصور سلاما طبيعيا مع اسرائيل يمكن ان يتحقق فى هذا الجيل .

السادات نفسه .. عندما كان يسأل .. كان يقول اننا لا نستطيع — بعد احقاد السنين الطوال — ان نفرض السلام الطبيعى بين يوم وليلة . يكفى ان ننهى الحرب .. وعلى الاجيال القادمة ان تحقق العلاقات الطبيعية عندما تزول الاحقاد بمضى الوقت فى رحاب السلام .

كان هذا هو الموقف قبل المبادرة ..

تركة احقاد .. وميراث شك وخوف .. ومحاولة لمجرد انهاء الحرب .. يبقى بعدها السلام الطبيعى .. كسراب بعيد المنال .

وخطا السادات خطوته الرائعة .. التى اذهلت العالم

كله.. وعبر بها جدار الشك وطوى سنوات المرارة والكراهية واصبح السلام الطبيعى الحقيقى ملء البصر ..

فماذا فعل به المستر بيجين .. هل خطا خطوة على نفس الطريق .. هل استطاع الارتفاع الى نفس المستوى ..

هل يريد أن يحقق للشعب الاسرائيلى سلاما طبيعيا حقيقيا كيف ؟ .. وبماذا ؟

بالمستعمرات يغرسها فى جانب العرب .. بشعبه يدفعه الى الارض العربية .. ليعيش بالقانون الاسرائيلى فى أرض عربيـــة .

هل هذا هو الامن الذى سيحققه لشعبه .

وهل يقتنع الشعب الاسرائيلى بهذا .

ثم ماذا عن الشعب الفلسطينى العربى .. جوهر القضية هل يريد المستر بيجين امن الشعب الاسرائيلى بالسيطرة على الضفة الغربية .. وباستمرار احتلالها .. وبنشر المستعمرات الاسرائيلية فى ارجائها .

هل يتوقع بعد ذلك امنا واستقرارا للشعب الاسرائيلى .

ان العلاقات الطبيعية لا يمكن ان تكون الا بين البلاد المستقلة . واذا ارادت اسرائيل علاقات طبيعية مـــع جيرانها .. فيجب أن تكون بجوارها فلسطين المستقلة .. لا فلسطين المحتلة ..

لقد استطاع السادات ان يخطو خطوته .. لانه كان واضحا لنفسه .. واضحا لشعبه .. واضـــحا للعرب .. واضحا لاسرائيل .. واضحا للعالم كله ..

انه يعرف ما يريد .. ويعرف ما يستطيع ان يعطى .. انه يريد أرضه المقدسة .. ويريد حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره واقامة دولته ، ويســتطيع ان يعطى لاسرائيل الامن الحقيقى بكل ضماناته .. ويستطيع ان يحقق السلام الطبيعى بكل صوره ..

ولكن المستر بيجين يعرف جانبا واحدا من القضية .. يعرف انه يريد الامن .. ولكنه لا يعرف حتى كيف يحققه .. يريد الامن باحتلال اراضى الغير واقامة المستوطنات

وهو بهذا يدور كما كان فى حلقة مفرغة .. ويلف بشعبه فى متاهات الضلال القديمة .. ليطفىء بارقة الامل التى اشعلها السادات .. ويظلم طريق السلام الذى انار شعلته .. ويجد نفسه وشعبه مرة اخرى .. مواجها لشبح الحرب.. بكل مافيها من تحديات ومرارة وعذاب لقد ذاق الشعب الاسرائيلى .. مرارة الحرب .. عرف التيتم والترمل والثكل ..

واذا ما اطفأ المستر بيجين بارقة السلام فسيعود الشعب الاسرائيلى مرة أخرى ليقاسى كل ما قاساه من أمن مهدد فى كل لحظة .. وحرب قد يشتعل أوارها من اجل تحقيق أمن .. لن يتحقق أبدا بعد أن أطفأ المستر بيجين بارقته .. وأغلق بابه ..

ويخطىء المستر بيجين اذا ظن أن العرب قد تمزقوا .. وانه يستطيع أن يفرض السلام الذى يريد .. اعتمادا على القوة المسلحة أو حتى بالتلويح بها ، لان العرب يمكن أن يجمعهم أكتوبر آخر .. بكل ما شهده من تضامن فى القتال وفى البترول وفى الثروة العربية ..

ويخطىء لو ظن انه يستطيع أن يناور ويساوم الى ما لا نهاية ..

فنحن نريد المضى فى طريق السلام ولكننا نرفض التسكع فيه . اننا نعرف غايتنا .. واهدافنا ..

لقد خطونا اليك فى طريق السلام .. فتقدم ولا تلف وتدور .. فتجد نفسك مرة أخرى .. فى طريق الحرب ..

وتفقد فرصة العمر .. عمرك .. وعمر اسرائيل ..

وتكون انت الذى تدعو الى دمار اسرائيل على مدى الايام .. بغير مفاوضات ■